يافا مدينة تختصر وطناً

نادرة شلهوب ـ كيفوركيان وهمّت زعبي*

يافا: النفي في الوطن والنمو إلى الجذور

يمثل الإنكار العالمي لجرائم / نتائج المشروع الكولونيالي في فلسطين إحدى الحالات القليلة والبارزة التي يشهد فيها التاريخ الحديث إلغاء وانكاراً لمأساه إنسانية نفسية ـ اجتماعية، منذ بداية المشروع الصهيوني في فلسطين في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في بازل في سنة ١٨٩٧، والذي، بحسب وليد الخالدي، يجسد الأب البيلوجي للنكبة (الخالدي ٢٠٠٩)، مروراً بالنكبة واحتلال فلسطين في سنة ١٩٤٨، والتي في إثرها شُرّع الاستيطان وتم الاستيلاء على الأرض وهدم القرى والمدن وتهجير ما يقارب ٧٥٠,٠٠٠ من سكان فلسطين الأصليين، وصولاً إلى يومنا هذا. لقد أنتج الشغف السياسي والعلمي و"الديني" بالصراع العربي ـ الإسرائيلي، واختراع "الأرض المقدسة"، والهوس المرتبط بالأرض، "معرفة" وسرديات تاريخية سياسية هائلة ساهمت في دعم المشروع الديني والسياسي ـ كولونيالي لفلسطين وتعزيزه.

في الوقت نفسه، إلى جانب إنتاج هذه "المعرفة"، وربما بسببها، تجاهل العالم الصدمة الفلسطينية والمأساه التي ألمّت بالإنسان / الشعب الفلسطيني ومعاناة العائلة والمجتمع. فمنذ اعتراف العالم بقيام الدولة اليهودية على أنقاض الشعب الفلسطيني، أنكر الألم الإنساني الناتج من اقتلاع الإنسان من بيته وأرضه ووطنه، وساهم، باعترافه هذا، في محاولات إلغاء التاريخ الفلسطيني وشرعنة إلغاء معاناة الإنسان الفلسطيني وإخراسها. وقد عملت عدة مشاريع، وما زالت تعمل، جاهدة على إبقاء الأثر النفسي ـ اجتماعي على الفلسطيني في غياهب الصمت أو الإخراس.

محاولتنا إعادة الإنسان الفلسطيني والألم الفلسطيني إلى مركز القضية الفلسطينية هو أحد

* نادرة شلهوب ـ كيفوركيان: مديرة برنامج الدراسات النسوية ـ مدى الكرمل. • همّت زعبي: باحثة في برنامج الدراسات النسوية ـ مدى الكرمل.

الدمار في حي المنشية بعدما احتله الصهيونيون في أيار/مايو ١٩٤٨
المصدر: صفحة (The City of Jaffa (Yafa في الموقع الإلكتروني التالي:
www.Jaffa.8mnet/catalog.html

أهداف هذه المقالة. وقد انطلق تحليلنا من خبرتنا كأخصائيتين اجتماعيتين، ومن تجربتنا كامرأتين فلسطينيتين ولدتا في حيفا والناصرة حيث عانى أهل هاتين المدينتين، كغيرهم من أبناء المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، جرّاء الإلغاء ومحاولات النفي.

ما تطّلعوش على الخراب هدا....يافا اليوم مش يافا زمان، يافا فلسطين قبل الـ ٤٨ تغيرت...مسحوها....سحقوها... غيروا معالمها....قتلوا اقتصادها، وخنقوا ثقافتها....شوفو الموزيوم... أدخلوا جوا....بوجعكوا ألبكوا....بتفوت تفهم تاريخ يافا بتلاقيناش فيو يافا. فلسطين، كأن الفلسطيني ممحي، وحقبة من الزمن ممحية....بس بحكوا وبفرجوا تاريخ اليهود. وكأننا ما كنا ولا تواجدنا هون.....ولو اتطلعتوا هناك، عالبحر.... هناك عند التلة هديك....هناك كانت مقابرنا....لمّا كنا زغار، كنا نسبح بالبحر وتطلعلنا عظام، عظام موتانا.....

كان هذا صوت سامي أبو شحادة، مرشد فلسطيني، يصف المأساه اليافاوية، وذلك خلال رحلتنا الأخيرة إلى يافا في إطار رحلة تثقيفية نظمها "مدى الكرمل ـ المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية"ـ مكان عملنا، وقد شكلت الرحلة وحديث سامي اليافاوي أحد المحفزات لكتابة هذه المقالة. إن كلام سامي، ومعرفته بأدق الأمور، وقراءته للمرئي، وبحثه عن الإنسان وقصته اللامرئية، أكدت لنا أنه لا يمكن التحدث عن يافا، وكتابة يافا من دون كتابة الإنسان بصوته الذي يعكس المعاناة، وإنما من خلال حبه ليافا، حتى في عظام موتاها.

قناعتنا بأن نكبة الشعب الفلسطيني

التي أصابت الإنسان والأرض والهوية والكيان الفلسطيني برمته، إنما أصابت أيضاً عالم الفلسطيني / ة النفسي ـ اجتماعي، ولذا فإنها تشكّل نقطة الانطلاق التحليلية لهذه المقالة. فمن خلال فهم المسارات النفسية والمعاني التي تبني إدراك الإنسان الفلسطيني ونفسيته (وتصوره لذاته ومستقبله، ومن خلال علاقاته في بيته وعائلته ومجتمعه كما علاقته بتاريخه ووطنه وأرضه)، نحاول العودة إلى الإنسان وعالمه النفسي ـ اجتماعي لطرح قراءة سيكولوجية ـ اجتماعية سياسية لوضعية الإنسان / ة الفلسطيني، متمركزة في السياق الفردي العائلي التاريخي ـ جغرافي للفلسطيني / ة عبر استخدامنا الحيز اليافاوي كمثال.

إن طرح تحليل نظري نفسي ـ سياسي لمعاناة الإنسان يرتكز على تفكيك وفهم إدراك الإنسان الفلسطيني لتاريخه، وتصوره لذاته، عند فقدانه بيته، وحيزه، ومجاله، وفضائه المادي، الاجتماعي، السياسي والنفسي، ويعتمد على التعمق بالمعاني التي يمثلها هذا الاقتلاع عبر فقدان مصادر الحماية والدعم والاحتضان للأفراد والمجموعة على حد سواء. علاوة على ذلك، تناقش هذه المقالة طرق صمود الإنسان ومقاومته محاولات اقتلاعه وإماتته الدائمة والمستمرة في ظل اقتصاديات السيطرة على الحياة والموت، وضمن النظام الكولونيالي المسمى النكروبوليتيك الإسرائيلي (شلهوب ـ كيفوركيان ٢٠٠٩؛ ٢٠١٠).

تقوم المقالة على محورين مركزيين، يتمركز الأول منهما في تحليل اقتلاع الإنسان ومحاولات نفيه في وطنه ونفي وطنه. ولتحليل هذا المحور، نقوم بالربط بين البعدين العام والخاص للنفي، عبر الافتراض أن هذا الربط مهم كونه، وبحسب رأينا، يشكّل لحظة لإنتاج معرفي جديد تتخلله إمكانية نفسية ـ سياسية، صعبة، لكنها إيجابية تفتح مجالاً إضافياً لقراءة سياسية ـ نفسية نقدية ومقاومة للفلسطينيين.

أمّا المحور الثاني فيتمركز حول تحليل المقاومة والصمود النفسي والعملي للفلسطيني المنفي في وطنه، ونأخذ يافا مثالاً. فمن خلال تحليل السياق النفسي ـ السياسي للإنسان اليافاوي اليوم في / مع تاريخه، ومن خلال تشخيص مصادر الدعم والاحتضان الفلسطينية الفردية والجماعية ومركزتها، نحاول المساهمة في إنتاج معرفة نقدية مبنية ومستندة إلى التعمق في تجربة الاقتلاع الفلسطينية، ومتمركزة في الإنسان وتجربته النفسية الفردية ـ جماعية، ومتوقفه عند طرق صموده ومقاومته.

نفي الإنسان ـ الفلسطيني

إن قراءة تاريخ فلسطين من حيث سياسة كتابتها ورمزية فلسطين، في الثقافة الأنجلو ـ سكسونية، عند سرد قصة نكبتها أو عدم سردها، تشير إلى وجود قاسم مشترك جوهري بشأن رؤية فلسطين من دون الفلسطينيين وعبر اقتلاعهم، واستمرارية تشريدهم، كأنهم ـ أي الفلسطينيين ـ مجردون من أي ارتباط ثقافي، اجتماعي، سياسي أو مادي بها، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً (دوماني ٢٠١٠).

ففي مقالة للمؤرخ بشارة دوماني يشير الباحث إلى أن الهوس بالأرض، ومتطلبات الصراع، تطلبتا بالضرورة تغييب السكان الأصليين عن السرد التاريخي، وقد شكّل هذا التغييب جزءاً من إنتاج المعرفة،

وتغلغل عميقاً في الكتابات الأكاديمية والعادية خلال القرن العشرين (دوماني ٢٠١٠). فمثلاً في فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)، ووقوع فلسطين تحت الاحتلال البريطاني، ثم الاستعمار/ الانتداب، وصدور وعد بلفور ـ الذي أيّد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ـ سُمي السكان الأصلانيون في الكتابات العلمية عن فلسطين، "الطوائف غير اليهودية".

لاحقاً، وبفعل "فيزياء القوة العالمية" (شلهوب ـ كيفوركيان ٢٠٠٩) التي تتمثل في مصالح الغرب ومستعمريه، وفي إخراس المطالبة بحقوق الإنسان الفلسطيني، والدور الذي قام به العرب، عاشت فلسطين في العشرينيات حتى الأربعينيات تغييرات عميقة في المستوى الديموغرافي، الإثني والسياسي، لمصلحة المهاجرين اليهود (Fromkin 1989)، وعلى حساب ـ الفلسطينيين ـ سكان البلد الأصلانيين، إذ استؤصلوا من النصوص والكتابات العلمية، ومن التاريخ في أشد طرق الاقتلاع وأعنفها، ولاحقاً، في المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية، والتي تفاقم خلالها عنف هذه الفيزياء، ليُنتج نكبة ١٩٤٨ التي تسببت باقتلاع الشعب الفلسطيني من مكانه وتهجيره، كان الفلسطيني خلال ذلك، ولفترة طويلة، الحلقة المفقودة في هذا التاريخ (بشارة ٢٠٠٢)، إذ انشغلت الكتابات الاكاديمية والعامة بالصراع بدلاً من الإنسان (دوماني ٢٠١٠).

لقد كان هذا المعطى الخارج ـ بنيوي، أي قيام دولة إسرائيل، ضرباً لتطور اجتماعي ـ سياسي ـ نفسي لسكان فلسطين الأصليين. وكما يشير حوراني فإن نوعاً من عجز البنى السياسية للجماعة الفلسطينية، وإخفاقها في بلورة حالة دفاع شاملة لاشتقاق وتطوير أشكال مجابهة ملائمة ومقتدرة، والانقطاع البنائي جرّاء الاقتلاع، وتخلّف المجتمع السياسي الذي كان يحتكر تمثيل الجماعة ويقوم على الشخصانية، أمور كلها أدت إلى وجود شوائب في الوعي الاجتماعي، كما أن الضعف البنيوي الفلسطيني السياسي أدى هو أيضاً إلى عطب في بناء مقاومة منظمة (حوراني ١٩٩٠، ص ٤٦١–٤٥٩).

إن اقتلاع الشعب الفلسطيني وشتاته بعد النكبة، أثّرا تأثيراً كبيراً في إمكانات كفاحه ومقاومته. فالقوى الكولونيالية، إلى جانب عملها على استعمار الأرض وتهجير سكانها الأصليين، حاولت تدمير أساسين لبناء الذات الإنسانية الفلسطينية: الأول، ينعكس في محاولة إلغاء الإنسان الفلسطيني في جغرافيته، والثاني، ينعكس في محاولاتها ضرب الروابط الأسرية ـ اجتماعية التي كثيراً ما كانت حاضناً وحامياً وواقياً لجماعة تتعرض للهجوم والاقتلاع. وقد أدى هذا كله إلى تحويل الشعب الفلسطيني إلى أفراد وتجمعات لاجئة، مشتتته، مقتلعة، ومنفية، وجرى تحويل الوطن إلى منفى، سواء للمجموعة التي بقيت في أرضها كأقلية، أو تلك التي هُجّرت خارج أرضها.

ومن هنا، نرى أن لمحاولات نفي الإنسان في يافا (كما في باقي المدن الفلسطينية) بُعدين، الأول هو البعد العام، ويتمثل، من جهة، في اقتلاع ومحاولة إماتة فلسطين / يافا، ومن جهة أُخرى في قدرة البقاء والحياة في يافا جديدة / قديمة مستعمرة يحكم فيها الخصمُ الإنسانَ والأرض والحياة والمكان والزمن بعد النكبة.

أمّا البعد الثاني فيتمثل في إحياء فلسطين / يافا باليافاوي / ة والصمود

اليومي في المجال الخاص في حيز البيت والدار، ومواجهة المعاناة المستمرة جرّاء جرافات المخطط الكولونيالي، والمقاومة اليومية والصمود (النفسي والعملي) في الحفاظ على الصوت المطالِب والفاعل في حماية السرد الفردي والعائلي لتجربة النكبة الخاصة بكل فرد وأسرة وبيت وحارة، والصوت الذي يتناقل القصص الفردية ـ جماعية، وذلك المحتفظ بالمفاتيح الفعلية والنفسية.

النفي في الوطن، وتدمير المؤسسات، وتهميش الاقتصاد، وتقويض حرية التنقل، وكسر محاولات مقاومة متكررة، وضرب عوامل الحماية النفسية للفرد، وتمزيق الروابط الاجتماعية والمجتمعية التي حمت الإنسان الفلسطيني عند الحاجة، أمور كلها أدت، بين ما أدت إليه، إلى خلخلة محاور الدعم والحماية، واحتضان النفس الإنسانية الفلسطينية المنفية في وطنها.

وبالتالي، فإن ما ندّعيه هنا هو أن "الجيوبوليتيك والثيوبوليتيك" لم يجعلا تاريخ فلسطين ساحة للصراع السياسي فحسب (الحوت ١٩٩١، ص ٤٨١)، بل إن ساحة الصراع هذه دخلت الحيز الاجتماعي ـ عائلي ـ نفسي للفلسطيني / ة، كي تضرب محاور الاحتضان الخاصة بالفرد، ولم تفارقه.

وعليه، فإن قراءة نفسية الإنسان الفلسطيني، في ظل غياب جغرافيته وعدم ثباتها، في مدينته الفلسطينية بعد نكبتها، مهمة جداً لفهم معاني وطرق الصمود والمقاومة. وهنا ننتقل إلى الجزء التالي من المقالة، والذي يحاول تشخيص مصادر الدعم والاحتضان الفردية والجماعية. فمن خلال الفلسطيني الغائب ـ الحاضر نستطيع تسليط الضوء على كيفية مقاومة عمليات الإماتة الكولونيالية في تخطيطها الجغرافي، وسردها التاريخي المدعم من أصحاب القوى، فنشخصها ونحاورها كما يعيشها ويصفها الإنسان / ة اليافاوي / ة.

إن تحليل قضية النفي في الوطن، وانعكاساتها على قضية مقاومة النفي، يمركزان تجربة الفقدان والصدمة والشتات والإلغاء، والموقت في المكان والزمان، في فهم مصادر الاحتضان النفسي ـ اجتماعي ـ سياسي، ويبحثان عن جسور إدراكية لفهم الاقتلاع، والمنعكس فيما سمّيناه "النمو من الجذور" (Growing Down). إن ما نطرحه في مصطلح النمو من الجذور، يعكس أهمية النمو النفسي ـ سياسي للفلسطيني بالتحدي مع تاريخه وحاضره المشبع بالاقتلاع، فالنمو من الجذور الفلسطينية التي تحكي قصة يافا كفلسطين، وحطام البيوت المدمرة التي ما زالت تحكي النكبة بمأساتها الإنسانية، هما ذاتهما اللذان يغنيان ويقوّيان جذور الإيمان بعدالة القضية، وأهمية مقاومة الإماتة، كي يعززا بذلك عوامل الحماية النفسية (Protective factors). ولذا، فإننا سنحاول فهم كيف أن تدعيم الحاميات النفسية وتعزيزها إنما يتمّان من خلال إنسان منتمٍ إلى وطن ثابت المعالم، على الرغم من جغرافيته غير الثابتة، ومن سياسات نفيه في الحياة.

النفي في الوطن

إن أحد المعاني القوية التي تبرز عندما نفكر في فلسطين، وفي الفلسطينيين الذي بقوا فيها، يرتبط باقتلاع مجموعة أصلانية من بيوتها ومكانها، وتحويلها إلى "أقلية" منفية في وطنها؛ أقلية فقدت أرضها وبيوتها وطرق دفاعاتها، أو كما سمّاها بشارة، أقلية مهزومة في مجتمع مهزوم

(بشارة ٢٠٠٢، ص ٢٢)، تحمل انهزامها وانهيارها الجماعي، وقيام دولة إسرائيل على معظم أراضيها.

لقد بدأت عملية نفي الفلسطيني مع المشروع الصهيوني. يقول إدوارد سعيد إن الفكر والتأريخ الغربيين صوّرا فلسطين كفكرة جغرافية بعيدة عن أهلها (Said 1980)، أي أنه قد تم إبعاد الفلسطينيين تماماً عن فلسطين (انظر أيضاً كميل منصور ١٩٩٠؛ دوماني ٢٠١٠ ;Morris 1993). ويتفق نور مصالحة مع هذا الادعاء ويقول إن الأيديولوجيا الصهيونية في مسارها، ونتيجتها، وسياقها الزمني، أنتجت حالة منفى شاملة وفريدة، حوّلت الفلسطينيين إلى أناس لا يمتلكون التاريخ ولا الجغرافيا (مصالحة ١٩٩٢)، وبكلمات سعيد: "قلب للتاريخ يبعث في المتأمل الهول" (Said 1986, p 87). وبالتالي، فإن إجرامية فكرة النفي والإقصاء وإنكار الحق، في السياق والرواية الصهيونيَّين، إلى جانب السردية عن فلسطين المرتبطة بـ"شعب الله المختار"، أضفت صفة الـ "قداسة" و"محاورة المقدس" و"اللاهوتي" على مسارات الإجرام (للتوسيع، انظر: الحوت ١٩٩١)، مضيفة بذلك بعداً مقدساً، لتبرير نفي الفلسطيني في الروايتين الصهيونية والعالمية على حد سواء.

ولم يتوقف النفي عند السرد التاريخي أو التحليل والعمل السياسي المبرر للنفي فقط، بل تعداه ليشمل نفي حق الإنسان الفلسطيني في البقاء، ومن هنا لا تشكل الأرض / البيت / الوطن محوراً مركزياً في الصراع بين الفلسطيني والدولة اليهودية فحسب، بل إحدى الآليات المركزية أيضاً التي تستعملها الدولة اليهودية لنفي الفلسطيني وإعادة إنتاج هزيمته، لأنها تعني السيطرة على الأرض، والتحكم في فضاء الوجود الفلسطيني، وقمع قواه

مشهد عام للبلدة القديمة بعد النكبة في سنة ١٩٤٨، ومباشرة قبل هدمها

المصدر: صفحة The City of Jaffa (Yafa) في الموقع الإلكتروني التالي:

www.Jaffa.8mnet/catalog.html

النفسية الداعمة والحاضنة، والسيطرة على تواصله، وتحديد تطوره الفردي والجماعي والثقافي، وتوسّعه الاقتصادي، وهذه السيطرة تعمل على تحديد آفاقه وخنقها. ويبقى أمامنا أن نتساءل كيف تمكن / ت ابن / ة يافا من العيش في يافا الوطن المنفي؟

يافا ـ (المكان) الوطن المنفي

يشير مزاوي وخوري ـ مخول إلى أنه منذ سنة ١٩٤٨، حُكم على يافا العربية بالاختفاء بشكل متدرج ومنهجي، وقد استُعمل القانون وآليات "التخطيط المدني" لتحقيق هذا الهدف (مزاوي وخوري ـ مخول ١٩٩١). ويشير مونتيرسكو في تقرير بشأن المجتمع الفلسطيني في يافا إلى السياسات الحيّزية التي انتهجتها المؤسسات الصهيونية من أجل تحقيق نفي يافا واليافاويين (مونتيرسكو ٢٠٠٧).

كانت المرحلة الأولى تحويل يافا من مدينه عربية إلى مدينه مهجرين. ولتهجير الفلسطينيين من يافا في سنة ١٩٤٨، فُرض الحكم العسكري فترة قصيرة جرى خلالها تركيز السكان العرب في منطقة مسوّرة ـ حي العجمي ـ تم ضمها إلى منطقة نفوذ مدينة تل أبيب. وخلال سنة ١٩٤٩ أُلغي الحكم العسكري وانتقلت المدينة لتصبح تحت الحكم المدني، وجرى في أثناء تلك الفترة تكثيف التوجه نحو إسكان المهاجرين اليهود وتركيز المؤسسات العامة في المدينة، وهكذا تم تحويل يافا من مدينة عربية إلى مدينة مهاجرين (مونتيرسكو ٢٠٠٧).

وبين السنوات ١٩٦٠–١٩٨٥ اختلفت الاستراتيجيات الكولونيالية، لكن تمت المحافظة على الهدف ـ نفي اليافاويين من يافا. وانتهجت المؤسسة الإسرائيلية استراتيجيا إهمال بشكل منهجي كجزء من خطة "إخلاء وبناء". فمن خلال سياسة disinvestment والـ de-developmen التي انعكست في إخلاء وهدم وإهمال منهجي في المجال الحيزي والبنائي، كما في مجالَي التشغيل والخدمات المحلية، تم تحويل الأحياء العربية الى أحياء فقيرة ـ بحيث تركها سكانها اليهود وبقي فيها العرب ـ الأمر الذي سمح بالقضاء عليها واستبدالها بأحياء حديثة. لاحقاً، وحفاظاً على الهدف المركزي تم تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في يافا.

ولم يقتصر نفي اليافاويين على استعمال سياسات الحيز والبناء، بل إن الأمر طال جميع مجالات الحياة، ذلك بأن دولة إسرائيل / الدولة اليهودية، ومنذ قيامها، سيطرت على مجال التعليم العربي (Abu Saad 2006)، واعتمدت سياسات هدفت إلى تجهيل الفلسطينيين وضمنهم اليافاويون (Levy & Massalha 2010)، وطالت سياساتها أيضاً إفقار المجتمع الفلسطيني في يافا من خلال إعاقة تنميته وتجيير قدراته وخبراته في خدمة اقتصاد المشروع الصهيوني (شحادة ٢٠٠٦)

هكذا، وبواسطة القانون وآليات "التخطيط والبناء"، وتحطيم الاقتصاد الفلسطيني في يافا، وتهميش التعليم الفلسطيني، وتجهيل الإنسان وإعاقة تقدمه، تم تغيير الجغرافيا الفيزيقية والاجتماعية ـ الثقافية بهدف محو التاريخ ونفي المكان الفلسطيني المتبقي بعد النكبة. وقد استمرت القوى الكولونيالية في نفي الإنسان الفلسطيني اليافاوي في المكان والزمان، وتعزيز الانهزام والإهانة، وتغيرت يافا الوطن على اليافاوي / ة، وأصبح الإنسان / ة يعيش/ ت نكبته / ها النفسية كل يوم

عند رؤية دمار بيته، ومدرسته، ومقابره، ومدينته / ها وتغيير معالمها ومحو تاريخها لمحو المعاني التي تحملها يافا في النفس الإنسانية للفلسطيني /ة.

ولفهم حدة الصدمة الإنسانية، وتأثير القمع الكولونيالي في الطاقات النفسية لليافاوي / ة، وللتعمق في فهم هذه الحالة النفسية ـ سياسية، نتساءل، كما تساءل سامي وهو يرشدنا إلى يافاه، عن أي يافا نتحدث اليوم؟ ونتعمق في طروحاته عندما يتساءل كيف يا تُرى يعيش اليافاوي في يافا المدينة التي كانت مفعمة بالحياة، مدينة عاشت بحدودها، وبلديتها، وأهلها، وحاراتها، وأبنيتها، في يافا الفلسطينية التي صارت اليوم بؤرة فقر وإفقار؟

إن المكان الجغرافي ليافا اليوم لم يعد المكان الجغرافي نفسه الذي تحمله الذاكرة، الأمر الذي يتطلب إعادة تعريف المكان في الزمان. فعندما ينظر الفلسطيني اليوم إلى يافا يرى مكاناً واحداً له عدة أزمنة. هناك يافا المكان اليوم، الذي أصبح حيزاً فلسطينياً أُقصي عن الزمان / الآني المتطور، ليترك يافا تحت رحمة الموت. وفي الوقت نفسه، ما زال هناك يافا المدينة الفلسطينية و"عروس البحر" التي تحتل وبقوة جزءاً كبيراً من ذكريات اليافاوي / ة الخاصة ونفسيته، هذا على الرغم من ضياع عظام موتاها في بحر الإنكار العالمي وإفلاسه الأخلاقي.

ففي البداية وفي ذاكرة الفلسطيني كانت يافا، كقول الشاعر راشد حسين، "يافا البرتقال"، و"مباهج الأعياد" كما وصفتها الشاعرة فدوى طوقان، و"يافا الجنات الخضر" كقول الشاعر محمود الأفغاني، ويافا عروس البحر، والبهجة، والتفاؤل والحياة. وأصبحت يافا بفعل الدولة اليهودية، يافا اللاجئين. يافا الشتات والمنفى، يافا "حقائب منسيّة في مطار" كقول الشاعر محمود درويش. وفي هذا كله تحاول نفسية اليافاويين / ات اليوم التعامل مع المعاني المتنوعة التي تحملها يافا لهم.

فماذا نقصد اليوم عندما نقول يافا؟ هل نقصد يافا المعاشة تلك التي يسيطر عليها اليهودي الإسرائيلي، والتي تُبنى وتُنظم بشكل يتلاءم مع مصلحته، أم نقصد يافا التي يحملها الفلسطيني في ذاكرته، ذلك الجزء الذي فُقد كما فُقد الوطن وتم نفيه في مكانه؟ هل هي تلك اليافا المنسيّة في الحقائب؟ وهل نتمسك بذاكرة وطن مفقود؟ وماذا تعني الحياة النفسية والاجتماعية في يافا اليوم؟ وكيف تعيش النفس الفلسطينية يافا ـ المنفى في الوطن؟

كيف يعيش الفلسطيني / ة اليافاوي/ ة فقدان بيته في وطنه؟ وأين البيت الفلسطيني باحتواءاته النفسية والاجتماعية بعد النكبة؟ وهل في استطاعة البيت المحمّل بذكريات الفقدان والشتات الخروج ضد الحاضر لنفي الحاضر واستحضار الماضي المغيب؟

للبيت وللوطن ككيان فيزيائي دور مهم في تنظيم وتدعيم حياة الإنسان والحفاظ على كيانه النفسي والعائلي (Wiesenfeld & Panza1999)، وفقدان البيت يعني فقداناً مادياً وفقدان بيئة آمنة وثابتة؛ فقدان الشعور بالأمان والانتماء، وتزعزع الشعور بالهوية الذاتية والعائلية كما الوطنية. ومن هنا، يمكننا القول إن لفقدان البيت الحاضن، والبيت النفسي الحامي في يافا- الوطن، تأثيراً كبيراً في البنية الداخلية للعائلة، وفي الشبكة الاجتماعية المحيطة، وفي العلاقات الجماهيرية، والحياة اليومية، والدخل الاقتصادي، والصحة

النفسية والجسدية للأفراد (Gerrity & Steinglass 2003; Stern & June 1996).

فالبيت في يافا كان له ثقافة ومعنى يحكم ويحتكم إلى علاقات اجتماعية ومسارات نفسية. ففي البيت الفلسطيني احتفل الناس بصب الباطون وببناء البيت، وعملوا معاً في البناء، وإقامة الأفراح والأتراح، واستقبال المواليد الجدد، وتوديع الأحباء. فكيف يُبنى البيت اليوم بقصصه ومعانيه وذكرياته ليخرج ضد الحاضر؟ كيف يقاوم الفلسطيني الأيديولوجيا الكولونيالية التي تهدف إلى نفي بيته ونفيه في بيته؟ (Menzo 2003).

لقد تفاوتت مواقف الباحثين في فهم تأثير الاقتلاع وفقدان وهدم المنازل في النفس الإنسانية. فالباحث قوته (Qouta et al 1998) يقول إن الأطفال الفلسطينيين الذي فقدوا بيوتهم شعروا بالإهانه وحملوا ذكريات الاقتلاع الدائم. كما أشار إلى أن دراستهم النفسية أبرزت شعورهم الدائم بفقدان الشعور بالأمان النفسي والثبات الاجتماعي وضرب التناغم والانسجام في العلاقات الاجتماعية وغيرها.

فكيف يعيش الفلسطيني بيته، وأي سيكولوجيا فلسطينية تطورت في حياة يحكمها قانون أملاك الغائب، وقوانين الطوارئ، ونظام فاق نظام الأبارتهايد؟ وكيف يحافظ الإنسان على توازنه النفسي في ظل أسرلة المكان والزمان وتهديدهما، وفي ظل شبح لاجئ تهجّر لكنه يحمل مفاتيح عودته، وفي ظل بيت تقلصت مساحته إلى بضعه عشرات من الأمتار كي يحوي عائلة نووية، بينما كان حيزاً عائلياً يعيش بالعائلة الممتدة؟ كيف يحيي اليافاوي بيته الفلسطيني في ظل تحويله إلى بيت "عربي"، بهدف إلغاء فلسطينيته، يعيش فيه أغنياء اليهود؟ كيف يعيش اليافاوي بيته وحارته في ظل وجود جيران من "الأعداء" داخل البيت؟

يافا الزمان: ـ الموقتية

إن محاولات نفي يافا / الوطن حوّلت زمان (نفسية) المقهور / ة في يافا ـ الوطن إلى زمان ثابت في موقتيّته. فثبات الكولونيالية، وثبات موقتية قهر النفس، وهزيمتها السياسية، سمحت بوجود الفرد في يافا، على الرغم من نفيه. وثبّتت (الكولونيالية) موقتية الزمان الفلسطيني في يافا، عاملة بأدواتها الاستعمارية في الحفاظ على موقتيّته الزمنية، بالتوازي مع محاولات إلغاء انتماء الفلسطيني النفسي، والوطني والفكري، والمشاعري في جغرافيا يافا المحتلة، على الرغم من وجوده.

فبعد احتلال المدينة في سنة ١٩٤٨، عملت السياسة الحيزية في يافا، على تحويل اليافاويين السكان الأصليين إلى موقتين في وطنهم. وعملت قوانين الطوارئ ـ الثابتة في موقتيّتها ـ وبمساعدة سياسات التخطيط والبناء، والتعليم، والتحكم، والضبط، والإغواء، على إخراجهم من يافا "المتطورة" و"الحديثة"، وبذلك قامت بإخراجهم من التاريخ، ومن "الزمن الحديث"، ومن جذورهم الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية، محاولة بهذا اقتلاعهم نفسياً.

لقد تم تغيير إطار الزمن كي يتم إخراج الإنسان الفلسطيني من الزمن الحديث (أمل جمّال، ٢٠٠٨)، ولينفي زمنه الفلسطيني ويرميه في زمن معلق بإطار زمني / أيديولوجي مؤسرل؛ إطار زمني يزيد في إقصائه، ويزعزع الثبات والتوازن النفسي ـ وجودي، ويزيد في فقدانه الاجتماعي والاقتصادي والنفسي. كما يعمل جاهداً على حرمان الفلسطيني

من بيته، وأرضه، ويتحكم في كيانه وحياته ومماته، في مكانه وزمانه، ويخلق نفسيات موقتة تحمل خوفاً من تكرار الماضي، وحاضراً مشبعاً بعنصرية المستعمر التي تساهم في تدعيم الشعور بالهزيمة، لكنها، في المقابل، لا تستطيع حذف احتمالات الأمل بالمستقبل.

فكيف تتعامل مع البيت في الوطن المنفي؟ وكيف تؤازر نفسيتك عندما يكون كيانك "موقتاً"، لكنه موقت دائم؟ إن محو القصة الإنسانية، ومحاولة طمس التاريخ، واستباحة الحياة، وهدم البيت، وخرق حق الإنسان في الموت بكرامة، ووضع الوطن في زمن موقت، هو عرضة للانتهاك من القوى الخارجية، أمور كلها أدت إلى خلخلة توازن القوى في الشعب الفلسطيني، وقامت بتضييق حيز البقاء النفسي ـ اجتماعي. إلاّ إنه على الرغم من هذه المحاولات، فإن الفلسطينيين، في معظمهم، بشكل واعٍ وغير واع، رفضوا قبول استمرارية الفقدان. وعلى الرغم من دائمية الموقت، عمل الفلسطيني على حماية الذات، والعائلة، والبيت، والمسجد، والكنيسة، والقصة الفلسطينية، والمفتاح.

إنها قصة النفس الإنسانية، وقصة العيش في بيت لم يفلح في اختراق الزمن وحدود موقتية الحياة، لكنها في الوقت نفسه قصة النافذة المفتوحة على مستقبل يعمل فيه الفلسطيني على مقاومة القمع والفقدان. فالخروج ضد الحاضر في العيش، والتعليم، والحفاظ على الذات، والعائلة، والزواج، والولادة، والتراث، والبناء "غير القانوني" وغيره من مظاهر المقاومة، ما هي إلاّ محاولات لربط الماضي بالمستقبل، من خلال بناء جسر من الاستمرارية والثبات، وعبر التنكر لآنية النفي في الوطن.

يافا (وي) ـ مقاومة النفي:

لمكانة الوطن المنفي والبيت الواقع تحت الهجوم الكولونيالي أثر كبير في نفسية الإنسان ونفسية الفلسطينيين، ليس فقط من حيث التفاعل والنسيج الاجتماعي والمصالح، ولا في كونه جغرافيا البيت / الوطن المهدد من حيث أهميته السياسية، ولا لأن الحيز والكيان الفلسطينيين تحوّلا إلى محل صراعات لإرادات، ومصالح واستراتيجيات متناقضة، ورموز لا تتفق، ومفاهيم متناقصة للحق. لقد صارت فلسطين الوطن، بكونها مكاناً ذا دلالات للاعدل تاريخي، محل صراع لا يقتصر على راهنها، بل يمتد ويدور حول ماضيها صعوداً حتى مستقبلها، وأيضاً من خلال كونه حيز احتضان وانتماء واستمرارية، ورمزاً ومسرحاً وإطاراً للمقاومة وشرعنتها.

إن محاولة الفرد صيانة ما تبقّى من قوى حاضنة وواقية داخلياً، ومحاولة معظم الفلسطينيين مقاومة الإماتة اليومية باستخدام القانون (مع المعوقات التي يحملها)، وحماية ما تبقّى من جغرافيا، أو / وسرد التاريخ بحديث جدة لأحفادها، ووالد لأولاده، وابنة لصديقاتها، وبكتابة باحثة أو مؤرخ، وإنتاج معرفة مقاومة للسرد الكولونيالي المهيمن، أمور كلها بنت قوى حماية برزت في كل طرح، ومشهد، وشهادة شاركنا بها سامي. إن مقاومة الفلسطيني في يافا محاولات منعه من سرد تاريخه، والحفاظ على الميراث الثقافي في المدينة وفرض رموز كولونيالية عليه، وعمله الدؤوب في مقاومة الإماتة النابعة من الأيديولوجيا الصهيونية، تعني مقاومة إماتة الهوية من محاولات

أسرلتها، ومقاومه آليات الدولة اليهودية، وأيديولوجياتها في إلغاء اليافاوي.

لقد تمركز كثير من الأدبيات الأكاديمية التي تناولت موضوع الاقتلاع والتهجير القسري حول الانتقال من بلد إلى آخر (Berman et al 2009). ومع هذا، فإن الاقتلاع من الوطن والبقاء داخله، وهما الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون في دولة إسرائيل، بقيا بعيداً عن تناول هذه الأدبيات. وسنحاول في هذا القسم التطرق إلى مقاومة اليافاوي محاولات اقتلاعه الجسدية والنفسية.

إن استهداف الوطن الفلسطيني، في محاولة قلبه إلى منفى من خلال اقتلاع سكانه الأصليين وإنكاره وإقصائه، أحدث في سيكولوجيا الجماعات الفلسطينية قضيتين أساسيتين: الأولى، "التحسب والترقب الدائم" حيال تهديد دائم بفقدان المكان، وفقدان العلاقة به، والثانية، "مقاومة الإماتة" والصمود.

تتمثل القضية الأولى في أن اليافاوي، على سبيل المثال، يعيش ويتابع مبادرات المؤسسة الصهيونية "الإعمارية" ليافا، وهي مشاريع تهدف، في نواياها المعلنة، إلى "تطوير وتجديد" يافا، لكنها فعلياً مشاريع معتمدة على برنامج كولونيالي يعمل، وبحسب شهادات أهل يافا (مونتيرسكو ٢٠٠٧)، على تطهير يافا من سكانها الأصليين، العرب.

إن قناعة الفلسطيني بأهداف الدولة اليهودية التي تعمل على نفيه واقتلاعه من بيته وحيّه ووطنه، علاوة على الممارسات الفعلية التي تنتهجها مؤسسات الدولة اليهودية غير المرئية لتحقيق هذه الأهداف، تخلق لدى اليافاوي، إلى جانب الترقب والتحسب الدائم، دافعية في الدفاع الفاعل (Active).

فعلى الرغم من الأدبيات النفسية التي تتحدث عن التأثير السلبي للاقتلاع في النفس الإنسانية، وخصوصاً ما يتعلق بما سمّاه سيبلي landscape of exclusion (Sibley 1995)، فإننا اخترنا هنا نقاش المحرك النفسي الذي ينتهجه اليافاوي / فلسطيني في الحفاظ على مشاعر ومظاهر الانتماء، لتحريك الطاقة الإيجابية عند الاقتلاع (Berman et al 2009). تخبرنا نتالي حسيان[1] عن كسر حاجز الخوف الذي صنعه شباب يافا من خلال نشاطهم وتنظيمهم في حركة الشبيبة اليافية،[2] فتقول: "الوضع فيما يسمى المدن المختلطة مختلف عن باقي البلدات العربية، فأنت تنشأ في مكان مستهدف.. في البداية تريد أن تكون جزءاً منهم، لكن تأتي الصدمة عندما يرفضونك، وهذا ما حدث لي وللكثير من الشباب في [تشرين الأول] أكتوبر ٢٠٠٠،[3] فبعدها تبدأ في كراهية ذاتك، ومن ثم تدخل في مرحلة البحث عن الذات، وهذا ما فعلناه في الحركة حيث بدأنا نبحث عن ذواتنا وهويتنا وتاريخنا، وانتقلنا من مرحلة البحث عن الذات إلى مرحلة ممارسة الذات، كسرنا حاجز الخوف كضحية أمام الجلاد" (مقابلة نُشرت في موقع عرب ٤٨).

كما أخبرتنا سيلفيا سعدي أنها في ١٩٨٧/٩/١ استيقظت الساعة الخامسة صباحاً على صوت الجرافات الإسرائيلية، قالت: "كان يومتها يوم عرسي، فقت زي المصروعة على صوت البولدوزرات... نزلت عالشارع بقميص النوم والعباي، وقفت أدّامهن.....هيك بدون تفكير، أدّام البولدوزرات الإسرائيلية عشان أمنعهم من هدم البيوت بيافا." من صوت سامي الذي يحضن تاريخه بحياته وعمله وكتابته، إلى صوت نتالي التي تحدثت عن مقاومة الخوف، وصوت سيلفيا التي لم تفكر لحظة

عند الوقوف أمام البلدوزرات متحدية القمع بقميص نوم، وعباءة بسيطة تحمل إرادة صاحبة حق، وأصوات كثيرة لم توثق، تدّعي هذه المقالة أن فلسطين، بعدل قضيتها، هي التي عززت الطاقات النفسية لنتالي وسيلفيا وسامي وغيرهم، وساهمت في تعزيز مقاومة استعمار الإنسان وتاريخه.

من هذه الأصوات نعي أن المقاومة بتعدديتها عملت على تحديد القوى الداعمة، ومكّنت العوامل الحامية والحاضنة والطاقات الكامنة في الفلسطينيين / ات، من الصمود والاستمرار. إن الكشف عن هيكليات الاحتضان والحماية للفلسطيني، على الرغم من المحاولات المستمرة لقمعها، والعمل على تحديد مهارات التواصل الاجتماعي على الرغم من الاقتلاع المستمر، يعكسان تصميماً على الاستمرارية كي تنمو النفس من الداخل.

إن البحث عميقاً عن الذات القوية، المؤمنه بصدق قضيتها وعدلها، هو ما نسميه في محاولة تنظيرنا هذه "النمو إلى الجذور". إن هذا "النمو" في تذكّر يافا عروس البحر، على الرغم من اقتلاعها، والتشبث بالقبور على الرغم من محاولات محو القبور والوطن، يعكسان مقاومة الفلسطيني لاقتلاعه ومواجهته لمحاولات إماتته. إن نمو الفلسطيني وتدعيمه في المكان والزمان اللذين تجري محاولات محوهما وتطهيرهما، ينعكسان في النمو إلى العمق، إلى الداخل، إلى الذات. إن هذا النمو يبني إطاراً داعماً وواقياً للنفس الإنسانية، ويحافظ على الطاقات التي ادُّخرت للمحافظة على تراث يافا وفلسطين النضالي.

لو نظرنا إلى بعض شابات وشباب يافا الحاضنين لقصة مدينتهم، فإننا نراهم، وعلى الرغم من المحاولات الكولونيالية لاقتلاعهم، قد استجابوا باستراتيجيا عكسية. فبدلاً من أن يقوموا بالانجراف إلى حيث حدد المستعمر الإسرائيلي وخطّط، نراهم يعملون على نموهم من خلال معرفة التاريخ في / والذات الفلسطينية، مقاومين سياسات الإماتة بمحاولات تخلق آليات مقاومة، كي يعيشوا ويمارسوا الحنين إلى المكان الأول (الحنين إلى الوطن) من خلال تعزيز الجذور وترسيخها. إن تطوير هذه الاستراتيجيات التمكينية تساهم في تدعيم وتقوية اليافاوي كمقتلع / ة، وفي تمكين دافعيته إلى فتح آفاق عدل مستقبلي.

من هنا، فإن أحد التحليلات النفسية لأثر الاقتلاع يقتضي النظر إلى القدرات النفسية للفلسطيني النابعة من التراجيديا الإنسانية للنكبة ومعانيها، وتحليل قوى الإنسان / ة الفلسطيني / ة في فهمه / ها لمعنى الحياة والوجود والبقاء كفلسطيني/ة مقاوم ومتحدٍّ. إن التعمق في المعاني المعيشية للاقتلاع والنفي في البيت / الوطن (كما نراها أيضاً في كتابة مالكي عند دراسة حالة الاقتلاع من بوروندي للهوتو)، (Malkki 1995)، تحفزنا على النظر عميقاً إلى عدالة القضيه وتاريخ الإنسان النضالي.

إن تنظيرنا وطرحنا للتعمق في أهمية "النمو إلى الجذور" في قضايا الاقتلاع والتهجير كما في مسلكيات سامي ونتالي وسيلفيا، ينبعان من الأهمية النفسية لقوة الجذور في الصمود ومواجهة القمع والعنصرية المبنية في الهيكلية الأيديولوجية الصهيونية والدولة اليهودية.

ونظراً إلى أهمية العزيمة النفسية وقوتها، والزخم النفسي لما يضفيه الإيمان غير المتزعزع بعدل القضية على النفس الإنسانية وطاقاتها، نرى كيف يطور الإنسان / ة المنكوب و / أو المهجّر باستراتيجيات تصميمية لبناء الذات الخاصة التي تدفعه / ها إلى تطوير هوية

جامع المحمودية في يافا ـ على الرغم من محاولات الأسرلة كلها، فإن معالم المدينة تحتفظ بماضيها
المصدر: صفحة (The City of Jaffa (Yafa في الموقع الإلكتروني التالي:
www.Jaffa.8mnet/catalog.html

تنمو من الجذور، وتتغذى من الذاكرة الجمعية، وتعد جسوراً لبناء جديد، ونرى كيف يواجه اليافاوي الاقتلاع والتهجير، ويقاومه حتى عند مماته، مثلما برز في تصميم الدكتور إبراهيم أبو لغد على أن يدفن في وطنه ومدينته يافا، على الرغم من اقتلاعه منها حياً (Abu-Lughod 2007)، وكما برز في التحدي المرئي وغير المرئي لشباب وشابات يافا في الحفاظ على تاريخهم وتراثهم على الرغم من نفيهم من الجغرافيا الاستعمارية.

إن النمو إلى الجذور، والانطلاق منها، أديا ليس فقط إلى صمود الإنسان وعائلته، بل أيضاً إلى منع إقصائه وإماتته حياً. إن الصمود اليومي في إحياء النفس من خلال النمو إلى الداخل، إلى الجذور، أعاد يافا المدينة والوطن على الرغم من محاولات الاقتلاع الإسرائيلية. إن إحياء يافا الفلسطينية في المكان المخفي / الموقت/ والمنسي في الوطن، من خلال المشاركة في استراتيجيات إعادة الاتصال والتواصل الاجتماعي مع العائلة في غزة، ومخيمات اللاجئين، والوطن والمنفى، عزز شعور الاعتزاز بالذات وبالانتماء إلى الوطن، وكوّن معاني وطاقات نفسية يصعب زعزعتها.

خاتمة

حاولنا في هذه المقالة تقديم تحليل نفسي ـ سياسي لفهم تعامل الفلسطيني اليافاوي مع إنكار مأساته، واقتلاعه، واستعمار بيته ووطنه، ومحاولات نفيه في وطنه. وقد اعتمدنا في الأساس على

وضع الإنسان في تجربته الخاصة، والتمحور حول عراكه النفسي ـ اجتماعي كمحور أساسي للتنظير، وحاولنا فهم النفس الإنسانية من خلال النظر إلى الحياة في فلسطين الوطن اليوم من خلال يافا كمثال، كحياة تعاني جرّاء العيش في وطن تحوّل إلى منفى بصنع كولونيالي.

أمّا الأساس الثاني لنقاشنا فبُني على تحليل يدّعي أن الاقتلاع والتهجير القسري لا ينجحان دائماً في اقتلاع الجذور، بل، على العكس، قد ينتج من هذه المحاولة مقاومة تزيد في زخم هذه الجذور، وفي تشبّث أصحابها بها. وإن تمسّك الإنسان بقواه النفسية ـ اجتماعية الحامية والحاضنة، وتشبّثه بقصة البيت الأرض والوطن، قد تبني جذوراً راسخة قوية ينطلق منها إلى مستقبل يحارب فيه محاولات إلغائه ونفيه، وعليه، اقترحنا استخدام مصطلح "النمو إلى الجذور" للتنظير بشأن أساليب حماية الذات لبناء آليات المقاومة والصمود.

لقد وسم الجرح الفلسطيني، حياة البيت الفلسطيني وأرضه اللتين جرّبتا مرارة الاقتلاع، والنفي والهدم، الأمر الذي يلزم المفكر الفلسطيني تحويل المعرفة إلى أداة لتفكيك الخطابات والمسارات المهيمنة واللاغية لكيانه داخل بيته.

إن مراجعة الموقع الأساسي الذي يحتله البيت القومي، في الزمن الفلسطيني المنفي، وفي الوطن، ترى في السيطرة على المكان والبيت في الزمان أساساً لطرح تحليل نفسي سياسي يتحدى تحليلات تفرّغ شعور الجماعة الفلسطينية من الانتماء.

إن سعينا لاستحضار الأنا الفلسطينية بميراثها مع المكان والزمان الآني، الموقت والمستقبلي، هو سعي منّا لمأسسة المكان في الزمان والرواية الإنسانية الفلسطينية بعدلها وأخلاقياتها، وتحويلها إلى قضية اجتماعية لها مؤسساتها ومركباتها. وهذه القراءة تتناقض مع الرواية الصهيونية التي تعود إلى تاريخ وزمان ومكان يهودي؛ تاريخ يحاول إفراغ الزمن الفلسطيني من عدل القضية، وتعليقه وضبطه في اللامكان واللاأخلاق. إن إحضار النفس الإنسانية في معاناتها، وتقديم قراءة سيكولوجية سياسية للإنسان الذي يقاوم محاولات محو تاريخة وجغرافيته، هما محاولة منا لتأكيد حقيقة أن هذه الجذور يصعب اقتلاعها. ■

المصادر

١ ناشطة في حركة الشبيبة اليافية ومسؤولة عن قسم التسويق في مسرح السرايا.

٢ http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=78867

٣ هبّة القدس والأقصى في سنة ٢٠٠٠.

المراجع

بالعربية:

- بشارة، عزمي (٢٠٠٢). "الخطاب السياسي المبتور ودراسات أُخرى". رام الله: مواطن.
- الحوت، بيان نويهض (١٩٩١). "فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة". بيروت: دار الاستقلال للدراسات.
- حوراني، فيصل (١٩٩٠). "جذور الرفض الفلسطيني ١٩١٨–١٩٤٨". قبرص، نيقوسيا: شرق برس.
- الخالدي، وليد (٢٠٠٩). "من ١٩٤٧ الى ١٨٩٧". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٧٨ (ربيع ٢٠٠٩)، ص ٧٠–٨٠.
- دوماني، بشارة (٢٠١٠). "المحذوفون من السرد التاريخي". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٨٤ (خريف ٢٠١٠)، ص ٣٥–٤١.
- شحادة، إمطانس (٢٠٠٦). "إعاقة التنمية: السياسات الاقتصاديّة الإسرائيلية تجاه الأقلية القومية العربية". حيفا: مدى الكرمل.
- شلهوب . كيفوركيان، نادرة (٢٠٠٩). "فيزياء القوة وتحديات الطرح النسويّ الفلسطيني بين الفكر والممارسة". "جدل"، العدد الرابع. حيفا: مدى الكرمل.
- ـــــــ (٢٠١٠). "القدس وفلسطين والسياسات اليومية الكولونيالية". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٨٥ (شتاء ٢٠١١)، ص ٥٤–٦٤.
- مصالحة، نور الدين (١٩٩٢). "طرد الفلسطينيين: مفهوم 'الترانسفير' في الفكر والتخطيط الصهيوني ١٩٤٨–١٩٨٢". بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- منصور، كميل (١٩٩٠). "الشعب الفلسطيني في الداخل: خلفيات الانتفاضة السياسية والاقتصادية والاجتماعية". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- مونتيرسكو، دانئيل (٢٠٠٧). "المجتمع الفسطيني في يافا: تقرير اجتماعي ـ تخطيطي". القدس: شتيل.

بالإنجليزية:

- **Abu-Lughod, I. (2007). "Return to Half-Ruins: Memory, Postmemory, and Living History in Palestine". In *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory*, edited by L. Abu-Lughod and A. Sa'di. New York: Columbia University Press, pp. 77-103.**
- **Abu Saad, I. (2006). "State-Controlled Education and Identity Formation among the Palestinian Arab Minority in Israel". *American Behavioral Scientist*, vol. 49, no 8, pp. 1085-1100.**
- **Berman, H et al (2009). "Uprooting and Displaced: A Critical Narrative Study of Homeless, Aboriginal, and Newcomer Girls in Canada". *Issue in Mental Health Nursing*, vol. 30, pp. 418-43.**
- **Fromkin, David. (1989). *A Peace to End All Peace: Creating the Modern Middle East, 1914-1922*. New York: Avon Books.**

- **Gerrity, E. T., & P. Steinglass (2003). Relocation Stress Following Catastrophic Events. In *Terrorism and Disaster: Individual and Community Mental Health Interventions*, edited by R. J. Ursano, C. S. Fullerton, & A. E. Norwood. Cambridge: Cambridge University Press, pp. 259-286.**
- **Levy, Gal & Mohammad Massalha (2010). "Yaffa: A School of Their Choice?". *British Journal of Sociology of Education*, vol. 31, no. 2, pp. 171-183.**
- **Malkki, Liisa (1995). *Purity and Exile: Violence, Memory and National Cosmology Among Hutu Refugees in Tanzania*. Chicago: The University of Chicago press.**
- **Menzo, L.C. (2003). Beyond House and Heaven: Toward a Revision of Emotional Relationships with Places. *Journal of Environmental Psychology*, vol. 23, pp. 47-61.**
- **Morris, Benny (1993). *Israel's Border Wars, 1949-1956*. Oxford: Clarendon Press.**
- **Qouta, S., R. L. Punamaki & E. El-Sarraj (1998). "House Demolition and Mental Health: Victims and Witnesses". *Journal of Social Distress and the Homeless*, vol. 7, no. 4, pp. 279-288.**
- **Said, Edward (1980). *The Question of Palestin*e. New York: Vintage.**
- **Said, Edward (1986). *After the last Sky: Palestinian Lives*. New York: Columbia university Press.**
- **Sibely, David (1995). *Geographies of Exclusion: Society and Differences in the West*. London: Routledge.**
- **Stern, P. N. & K. June (1996). "Restructuring Life After Home Loss by Fire". *Journal of Nursing Scholarship*, vol. 28, no. 1, pp. 11-16.**
- **Wiesenfeld, E. & R. Panza (1999). "Environmental Hazards and Home Loss: The Social Construction of Becoming Homeless". *Community, Work & Family*, vol. 2, no. 1, pp 51-65.**

بالعبرية:

- جمّال، أمل (٢٠٠٨). "متاعب الزمن العنصري". في "العنصرية في إسرائيل"، تحرير شنهاف ويهودا ويونا يوسي. القدس: معهد فان لير.
- مزاوي وخوري ـ مخول (١٩٩١). "السياسة الإقليمية في يافا". في "المدينة واليوتوبيا"، تحرير حي لوسكي. تل أبيب.